(المحاضرة الثامنة)

حركة التحرر العربي بين الحربين

كانت نهاية الحرب العالمية الأولى إيذاناً بانهيار إمبراطوريات قائمة كانت تسيطر على كثير من بلدان العالم الثالث، إلا أن ذلك لم يؤد الى استقلالها بعد تخلصها من الاحتلال العثماني والاستعمار الألماني أو النمساوي بل وقعت بيد مستعمرين اخرين من بريطانيين فرنسيين ايطاليين وغيرهم، الامر الذي وضع الشعوب التي عانت من الاستعمار المنهار ومنها شعبنا العربي امام مهماتها النضالية من جديد، فكان لا بد لشعبنا في وطنه الكبير الممتد من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي أن يتصدى للقوى الاستعمارية الجديدة مستهدفا التحرر والاستقلال والوحدة، بعد أن يئس من (عدالة)، الحلفاء التي تشدقوا بها كثيراً، وهكذا بدأت سلسلة من الثورات في أرضنا العربية تهز الاستعمار هزاً، جسدتها ثورة ١٩١٩م في مصر وثورة ١٩٢٠ في العراق وثورة ١٩٢٥ في سوريا فضلاً عن ثورات الشعب العربي في ليبيا والمغرب ضد المستعمرين الايطاليين والاسبان والفرنسيين.

❖ثور ١٩١٩ في مصر:

- **مقدمات الثورة:**

في الثالث عشر تشرين الثاني ١٩١٨م قابل وفد يمثل الحركة الوطنية المصرية يتألف من سعد زغلول وعلي شعراوي وعبدالعزيز فهمي نائب الملك في مصر السير (ريجنالد وينجيت) مطالبين اياه باستقلال مصر وحريتها، إلا أنه سخر منهم ومن الشعب المصري متهما إيّاه بالجهل وعدم أهليته للاستقلال بل أنه طالب أن تكون مصر عبداً لبريطانيا كما كانت – على حد زعمه –عبد لتركيا. ومما أثار وينجيت تحدث الوفد باسم شعب مصر كله وأدعى بأن الوفد لا يمثل شعب مصر إذ ليس لديهم ما يخولهم التكلم باسمه. ولإنهاء عمل الوفد على أصدر صيغة معينة التوكيل وتسعه أبناء الشعب يفوضون بموجبه الوفد المصري للسفر، وتمثيل البلاد، والمطالبة بحقوقها في لندن وباريس حيث يعقد

مؤتمر الصلح. ورغم العراقيل التي وضعتها سلطات الاحتلال أمام حركة التوكيلات تمكن الوفد من الاستناد قانونياً الى تفريض يسمح له بالتحدث باسم الشعب، ولكن استمرار تمع بريطانيا للحركة أدى الى احتجاج حسين رشدي باشا رئيس الوزراء ثم استقالته داعما بذلك موقف الوفد.

وجنح المحتلون كعادة كل مستعمر الى القوة ظناً منهم أنها تقضي على مقاومة شعب مصر فأرسل الجنرال **(وطسن)** كبير قادتهم يوم ٦ آذار ١٩١٢م داعياً هينة لمقابلته، وما أن دخلوا عليه حتى تلا عليهم انذارا جذرهم فيه بما يلي: –

١ –اثارة مسألة الحماية ووضعها موضع مناقشة.

٢ –وضع العراقيل في طريق تأليف الوزارة الجديدة.

٣ –إقامة العتبات في سير الحكومة المصرية في ظل الحماية.

٤ –أخذهم بالقسوة والقوة اذا خالفوا هذه التعليمات، وختم كلامه قائلاً: لا مناقشة. وأمرهم بالانصراف.

أبرق سعد زغلول رئيس الوفد الى رئيس الوزارة البريطانية محتجا على هذا الإنذار وقال أن مصر تطلب الاستقلال التام وترى أن الحماية عمل غير مشروع وتلقي تبعة بناء البلاد بدون حكومة على عاتق المحتلين، وجاء الرد بعد يومين حين صدر مساء ٨ آذار ١٩١٩م قرار ينفي سعد زغلول وزملائه من اعضاء الوفد الى مالطة.

- **قيام الثورة:**

منعت السلطات العسكرية البريطانية الصحف من نشر الخبر إلا أن الجماهير عرفته رغم ذلك، نكان ردها بليغاً، اذ اضرب طلبة المدارس والمعاهد العليا في اليوم التالي ق ٩ آذار وخرجوا بمظاهرة كبيرة، فتوجهوا الى دور قناصل الدول المحتجين، واقتدى بهم عمال التزام فأعلنوا الاضراب بعد ظهر ذلك اليوم، وتبعتهما قطاعات اخرى، فتوالت الإضرابات شملت حركة النقل. وبدأت قوات الاحتلال بإطلاق الرصاص على الطلبة وعلى مجموعة

من المصلين كانوا خارجين من أحد المساجد بعد اداء صلاة الجمعة فسقطت مجموعة من الشهداء ما زاد ذلك من غضب الجماهير ونقمتها وثورتها.

انتقلت أخبار الثورة من العاصمة الى الاقاليم وهاجم الشعب سكة الحديد فاقتلعها وعلى محطات القطارات فدمرها على اسلاك البرق فقطعها وعلى كل مرفق يسهل عملية نقل القوات البريطانية، وهكذا عمت الثورة معظم ارجاء البلاد.

وأخيراً شعرت بريطانيا بعدم جدوى القمع الاستعماري فقررت حكومة الاحتلال انتهاج أسلوب جديد يمكنها من تفتيت المعسكر الوطني وضرب القوى الوطنية الواحدة بالأخرى نوصل الى القاهرة الجنرال **(اللنبي)** ليتقلد منصب نائب الملك بدل **(وينجيت)** الذي انتهت مدة خدمته، وقد دعا اللنبي بعض وجهاء البلد والاعيان والعلماء الى اجتماع عام وقال انه مزود من حكومته بسلطات واسعة ومكلف بالقضاء على الثورة وبحث اسباب الشكوى والعمل على ازالتها، فقالوا أن أقرب الطرق وأقصرها وأسهلها هو أطلاق سراح المعتقلين والسماح لهم بالسفر الى باريس لتقديم مطالب مصر. وأضطر اللنبي وحكومته بعد عجزهم عن قمع الثورة تماما وتشكيل حكومة جديدة الى الإعلان يوم ١٧ نيسان ١٩١٩م الى إلغاء الاجراءات ضد رئيس الوفد وزملاه، وأباحت لهم السفر الى باريس، فكان أول فوز يسجله الشعب المصري على سلطات الاحتلال منذ سنة ١٨٨٣م.

أن لقد انتهج البريطانيون طرقا واساليب مختلفة لإجهاض الثورة وشق صفوف الثوار أهمها ما يلي:

١ –حاولوا القضاء على الثورة بالتلويح لسعد زغلول بالعرش المصري بدلاً من فؤاد شرط قبوله ببقاء الحماية البريطانية ونفصل السودان عن مصر، إلا أن سعداً رفض لان في ذلك تدميراً لسمعته كوطني من جهة وتدميرا لاماني الشعب للمصري بالاستقلال والتحرر من جهة اخرى.

٢ -حرك البريطانيون بعض عملا نهم اثناء المظاهرات يهتفون للخديوي المخلوع عباس حلمي بقصد شق وإجهاض الثورة وتوجهها غير الوجهة الوطنية المطلوبة نحو التحرر والاستقلال التام.

٣ -نجح البريطانيون في تحريك رجال الإقطاع الذين سايروا الثورة خوفاً على مصالحهم وأرواحهم من انتقام الجماهير فحالوا دون إعلان الجمهورية في مصر وأنها، النظام الملكي الفاسد.

٤ -حاول البريطانيون ايضا شق وحدة الصف الوطني بأثارة النعرات الدينية إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل.

وهكذا سمحت السلطات البريطانية للوفد بالسفر الى اوربا بعد أن ضمنت صمت الدول الأوربية على اجراءاتها في مصر وتأييدها لها، وسرعان، ما عاد الرفد الى مصر بعد أن عرف بموافقة مؤتمر الصلح بباريس على الحماية البريطانية، الامر الذي أسفر عن احتجاج حزب الوفد وكل القوى الوطنية الأخرى.

وفي ٧ كانون الأول ١٩١٩م وصلت الى مصر لجنة بريطانية لتقصي الحقائق عن الثورة واسبابها برئاسة **(الفريد ملنر)** وزير المستعمرات بقصد التخفيف من حالة التوتر النفسي المخيمة على أبناء الشعب المصري وامتصاص النقمة. وظلت هذه اللجنة حتى أذار ١٩٢٠م بعد أن قاطعتها الجماهير واجبرتها على التوجه الى قادة حزب الوفد للتفاوض معهم باعتبارهم ممثلي الشعب المصري، بعد أن حاولت اللجنة إعطاء ظهرها لهؤلاء بقصد ضرب الوحدة الوطنية وطرح قيادتها جانباً، إلا أن المفاوضات بين الوفد بزعامة سعد زغلول **ولجنة ملنر** لم تصل الى نتيجة بسبب التباين الحاد في المواقف فقطعت المفاوضات وعادت اللجنة الى لندن لتقدم تقريرها.

- **معاهدة ١٩٣٦م:**

بدأت مفاوضات المعاهدة في آذار ١٩٣٦م وانتهت بالموافقة عليها في لندن يوم ٢٦ آب ١٩٣٦م وقد اشتملت على شروط مجحفة بحقوق السودان وربطت البلاد بعجلة الامبراطورية البريطانية لمدة عشرين سنة ولم يكن من حق أحد الطرفين والمقصود طبعا ممر أن يطلب تعديلها قبل مضي عشر سنوات.

أما بالنسبة للسودان فقد جعلت هذه المعاهدة منها مستعمرة بريطانية يحرسها جنود مصريون تحت أمرة الحاكم العام البريطاني، كما نصت على استمرار إدارة السودان طبقاً لاتفاقيتي ١٨٩٩م، وعلى أن يواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين مزاولة السلطات المخولة له.

على أي حال فقد نصت هذه المعاهدة على اعتراف بريطانيا بأن أرواح الأجانب وأموالهم في مصر تدخل ضمن اختصاصات الحكومة المصرية، ونمت كذلك على اعتراف بريطانيا بان نظام الامتيازات الأجنبية لم يعد يلائم روح العصر، وهكذا ألغي هذا النظام في **(مؤتمر مونترو)** بسويسرا سنة ١٩٣٧م ودخلت مصر في عصبة الامم.

ويبدو أن ثقة الشعب بالناس الذي عقد المعاهدة بحكم كونه زعيم الاغلبية البرلمانية ورئيس الوزراء وزعيم حزب الوفد حالت دون مقاومتها بالرغم من انها أطلقت يد بريطانيا في ممر وسخرتها لخدمة مصالح بريطانيا، وكانت نذر الحرب العالمية الثانية تلوح في الانق حتى اندلعت بالفعل في ١ أيلول ١٩٣٩م.

❖ثورة ١٩٢٠ في العراق:

تحتل ثورة ١٩٢٠م مكانة متميزة تمثل مرحلة تاريخية من مراحل نضال الشعب العراقي من اجل الوصول الى الحرية الاستقلال.

فما هي ابعاد هذه الثورة وظروفها وأسبابها:

لقد كان تخلي المحتلين البريطانيين عن وعودهم وعهودهم بعد إقرار مؤتمر **(سان ريمو)** المنعقد في ٢٥ نيسان ١٩٢٠م لنظام الانتداب البريطاني على العراق ليحل محل الاحتلال العسكري المباشر سبب في أن يفقد الشعب العراقي ثقته ببريطانيا ويدرك بانها غير عازمة على منح العراق حريته واستقلاله، لذلك رفضت الجماهير الانتداب، واكدت أن الحرية تؤخذ ولا تعطى وان الثورة **(سواء نجحت أم أخفقت)** هي الطريق الوحيد لإنجاح قضية الحرية.

كان لثورة ١٩١٩م في مصر أثر كبير في أذكاء وتأجيج الشعور الوطني لدى الجماهير فضلاً عن التأثيرات العربية الأولى عام ١٩١٦م بقيادة الشريف حسين وتشكيل الدولة العربية في سوريا في آذار ١٩٣٠م، الامر الذي يؤكد عمق الصلات العربية، خاصة وأن عام ١٩٢٠م هو عام الثورات في الوطن العربي، نضلا عن أن المجتمع العراقي كان بحد ذاته يحتل موقعاً متقدماً في شعوره الوطني.

ويمكن لنا اعتبار عن بريطانيا للآمال القومية في الوحدة العربية سببا رئيسا من أسباب الثورة يدعمه تدهور الاحوال الاقتصادية لمجموع أبناء الشعب، وبروز جماعة أثرت على حسان نف إليه وجرعه، وسر، النظام الاداري، والاستخفاف بمشاعر العراقيين واعتقال بعض قادة الحركة الوطنية الامر الذي سبب سخطاً شديداً.

وتأثير الجمعيات والاحزاب المصرية كجمعية حرس الاستقلال وقرعي حزب العهد العراقي في بغداد والموصل والتي ساهمت من خلال نشاطاتها المتعددة في بلورة المشاعر الوطنية ضد الانتداب البريطاني.

مرت ثورة العشرين في مسيرتها عبر مراحل ثلاث:

أولاً: الاحداث التي مهدت للثورة والتي جرت في بغداد وكربلاء والنجف الاشرف وتلعفر والموصل.

ثانياً: تتمثل في الثورة المساحة التي انطلقت في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠م، بأطلاق عشيرة الظوالم سراح شيخها شعلان ابو الجون الذي اعتقله البريطانيون في سراي **(مخفر)** الرميثة، ثم عمت منطقة الفرات الاوسط.

ثالثاً: تتمثل في انتشار الثورة في مناطق العراق الاخرى مثل محافظة الانبار وكوردستان العراق حيث كان لهم دوراً فاعلاً في الثورة، فأبدى العراقيون بطولات فائقة وتضحيات فريدة تستحق الفخر والاعجاب دلت على مدى حب الجماهير للحرية والاستقلال واستعدادها للتضحية في سبيلها ضاربة أورع الأمثلة في الإباء والصلابة.

كبد العراقيون المحتلين البريطانيين خسائر فادحة في الأرواح والأموال والمعدات بلغت **(٢٢٦٩)** إصابة بين قتيل وجريح ومفقود وأسير بالإضافة الى ما لا يقل عن **(٤٠)** مليون باوند استرليني، وهذه الخسائر إن دلت على شيء فإنما تدل على مدة شمولية الثورة وعنفها.

- **الثورة: أهميتها وعوامل فشلها:**

لقد لعبت عوامل متعددة في إجهاض ثورة ١٩٢٠ منها:

العنف الذي استعمله البريطانيون وانحياز بعض شيوخ العشائر البهم تدفعهم مصالحهم الشخصية، وخشية البعض الآخر منهم، ويأس آخرين انتصار الثورة. كذلك الخسائر الكبيرة التي تكبدها العراقيون بسبب انعدام التكافؤ بين الفريقين في النواحي الفنية والاقتصادية والعسكرية اضافة الى الحصار الاقتصادي الذي كانت تعاني منه اغلب المدن العراقية والوعود التي اعدتها البريطانيون باستعدادهم لتبديل نهج الادارة والحكم، خاصة بعد عزل ولسن ومجيء السير برسي كوكس كمندوب سام لبريطانيا في العراق الذي وصوله بغداد في تشرين الأول ١٩٢٠م الى أنشاء حكومة أهلية تقود البلاد تحت اشرافه، فضلاً عن اساليبه في الترغيب والترهيب.

رغم عدم نجاح الثورة عسكريا إلا أنها كانت على جانب كبير من الأهمية فقد أحدثت تطوراً في الحياة السبابة وبذرت بذور النهضة بعد جسدت اطارها الوطني وبعد أن تفاعلت مع جذور هذه النهضة داخل الانسان في العراق. فكانت قاعدة المرحلة تطور عالية في مجرى التحرك التحرري قهي وان عجزت عن تحقيق الاستقلال الكامل والجلاء النهائي للاستعمار عن العراق نقد حققت من الجانب الآخر ادخال العراق في مرحلة النهوض حيث وضعته على طرق جديدة من العمل التفكير. كما أنها وحدت كلمة العراقيين وألقت بينهم وأثبتت لهم عملياً قيمة اتحادهم في صراعهم ضد السلطات المحتلة. كما انها كشفت عن وحدة الشعور والتضامن بين العراقيين واظهرت الروح الوطنية بشكل جلي. كما كشفت عن نضج سياسي سواء في بياناتها أو مراسلاتها أو ادارتها لبعض المدن التي صارت تحت سيطرتها كشفت أيضا عن قابليات عسكرية كانت موضعا أعجاب العدو وتقديره.

كما أثبتت الثورة للحكومة البريطانية صعوبة حكم العراق حكم عسكرياً مباشراً، وعززت نظرية فريق من الساسة البريطانيين القائلين بوجوب أقامه حكومة وطنية في العراق تشرف عليها الحكومة البريطانية وتوجه سياستها.

تمثل ثورة العشرين في العراق مرحلة مهمة من مراحل نضال الشعب العراقي وقد تميزت هذه الثورة ببعض المميزات، **منها بما يلي:**

١ –**أن الثورة كانت خاضعة تنظيميا لقيادات مركزية في مناطق متعددة من العراق وان هذه القيادات كانت تنسق فيما بينها بشكل دائم ابان الثورة.**

٢ –**لم يغفل الثوار العمل السياسي وجدوا، قبل خوض معاركهم الدامية نقد رفعوا المذكرات التي توضح أهدافهم بل شكلوا وفوداً للتفاوض ولكن دون جدوى. وهكذا انتقلوا من الوسائل السلمية الى الثورة المسلحة.**

٣ –**كانت الثورة على اتصال دائم بالجماهير الشعبية لتوضيح اهدافها أولاً وتقوية صلاتها بهم ثانياً وتهيئتهم للأحداث ثالثاً والحصول على تأييدهم رابعاً.**

٤ -كانت اعمال الثورة تدلل على تنظيم وتنسيق وكفاءة عالية في التخطيط وخاصة في المعارك.

٥ -كلما حرر الثوار مدينة وطردوا قوات الاحتلال منها ألغوا الإدارة فيها واعادوا تنظيمها من جديد، مما يدلل على وجود بعد نظري وتنظيمي لثورة. كما أسس الثوار في المدن المحرر عددا أمن المجالس الشعبية لإدارة امور المناطق المحررة.

٦ -شعر الثوار بأهمية الجانب الاعلامي فأسسوا فضلاً عن المكاتب الشعبية عدة صحف ناطقة باسم الثورة ومثال ذلك جريدة الاستقلال وجريدة الفرات.